مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

النقد المقارن لأشكال حضور الشخصيتين "هابيل" و" قابيل" في الشعر العربي المعاصر مع التركيز على شعر (محمود درويش ، بدر شاكر السياب، سميح القاسم و عبد العزيز المقالح)

الدكتور علي نجفي إيوكي - جامعة كاشان- إيران
الدكتور عباس إقبالي- جامعة كاشان- إيران
الدكتور سكينة محب خواه - جامعة كاشان- إيران

الملخص

إنّ توظيف الشخصيات التراثيّة عند الشعراء العرب المعاصرين ذو أهمية خاصة ومكانة مرموقة لتجسيد تجاربهم الذاتية والاجتماعيّة- السياسيّة. وهناك مجموعة من العوامل الثقافية والفنية والاجتماعية وراء تفشّي ظاهرة استدعاء هذه الشخصيات في نصوصهم الشعرية. وبما أنّ في العصر الحديث مرّت البلاد العربية بظروف من القهر السياسي والاجتماعي فيعبّر الشعراء عن أفكارهم كصورة من الصور التراثية والدينية. ومن الشخصيات الدينية الواردة في نصوص هؤلاء الشعراء هي"هابيل" و"قابيل"؛ حيث نعثر على بعض النصوص والصور الرمزية الدالة على هاتين الشخصيتين؛ لذلك تعمد هذه المقالة بمنهجها الوصفي- التحليلي إلى دراسة كيفية توظيف الشخصيتين في أشعار عدّة من الشّعراء المعاصرين كمحمود درويش، بدر شاكر السياب، سميح القاسم وعبد العزيز المقالح وتقوم بالدراسة التطبيقية والتحليلية لنصوصهم الشعرية على ضوء نظريّة المدرسة الإمريكيّة في الأدب المقارن. من المستنبط أنّ هؤلاء الشعراء يستمدون من قصّتها كإلهام شعري للتّعبير عن الأوضاع السياسية والاجتماعية المؤسفة الّتي تطلّ على البلدان العربية كفلسطين والعراق و...غير أنّ جناية قابيل المعاصر على النقيض من التراث الديني أصبحت جناية سياسية.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
ISSN :2353-0464 المجلد :7 / العدد :2
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

الكلمات الدّليلية: هابيل، قابيل، الرّمز الديني، المقاومة، الإنزياح.

Abstract:

Application of legendary characters, traditional and religious, the Arab poets of great importance and this important inner experiences of life stems and in the spread of the phenomenon called the characters in poetic texts are set cultural factors, artistic and social lies and the fact that the new era, with the iconic image of suffocation and Arabic countries faced political and social pressure So, poets to express their ideas, symbolic image of the national scene, have exhibited their religion and of religious and Quranic characters in the works of these poets, crystallized, Cain and Abel is,So that some of the interpretations and images coded leaders and many examples in poetry open on two characters, the poets, the story of these two characters to express political and social conditions that Arabic countries like Palestine and Iraq cast a shadow, inspired. Thus, the present research is a research-bsed quality use of two characters Cain and Abel, the poems of contemporary poets such as Mahmoud Darwish, Badr Shakir al-Sayyab, Samih al-Qasim, Abdul Aziz Al-Maqaleh, benefited We poetic texts and authors of the comparative study and research on comparative criticism also discussed.

Keywords: Cain, Abel, religious password, stability, defamiliarization.

1. المقدّمة

وردت قصّة "هابيل" و"قابيل" في"التوراة" في الاصحاح الرّابع في ستّة وأربعين قسما وذكر قابيل باسم"قايين". و"قايين" لغةً اسم سامي معناه "حدّادّ"يعادل في العربية "قين" وإن كانت"التوراة" تشير إلى اشتقاقه من الاقتناء: «وعرف آدم حواء فحبلت

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا من عند الربّ » أي «اكتسبتُ»[1] وهو بكر آدم وحواء، عمل بالزراعة وثارت العداوة بينه وبين أخيه"هابيل" فقتله وكان بذلك أوّل من أراق دما بشريا.[2] ثم لايفوتنا أن نقول أنّ اسم «قايين» يكتب في التراث الإسلامي أحيانا "قابيل".[3]

وصرّح كتاب التوراة باسم هابيل وأخيه قائلاً: «وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قايين عاملا في الأرض(2) وحدث من بعد أيام أنّ قايين قدّم من أثمار الأرض قرباناً للرّبّ(3) وقدّم هابيل أيضامن أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرّبّ إلي هابيل وقربانه،(4) ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدّا وسقط وجهه.(5)[4] وفقاً لما أشار إليه النصّ فإنّ هابيل قدّم قربانا للرّبّ من أحسن ماعنده خلافا لما قدّم أخوه قابيل قربانا للرّبّ، فلهذا نظر الربّ إلى هابيل وقربانه ولم ينظر إلى قايين وقربانه وهكذا غلب على قابيل الغيظ والحسادة فيمكن أن يكون هذا من الدّواعي الرئيسية لقتل قابيل أخاه هابيل.

من ناحية أخرى فقصّة هابيل وقابيل وما يرتبط بهما من الأحداث من أعجب القصص القرآنية أيضا؛ حيث سرد القرآن الكريم قصّتهما في خمس آيات من سورة "المائدة" المباركة. والجدير بالذكر أنّ القرآن ما صرّح باسم هابيل وقابيل في آياته، ولكن يلمّح إلى ابني آدم، ولا شكّ أنّهما هابيل وقابيل حيث نقرأ في سورة "المائدة":

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي

1.سفرالتكوين، الأصحاح4:1.
2. البطل،1984م : 43.
3. ابن كثير،1401ق:ج41/2.
4. سفرالتكوين، الأصحاح،4: 5-2.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)﴾

ومهما يكن من أمر فقصة قابيل وهابيل تؤسس بداية مجموعة من"الحقائق" البشرية والمؤسّسات الإنسانية منها اكتشاف الجنس والموت والقتل وظهور الطقوس. والطّريف أنّ معنى الصراع الذي يتخللها في جميع رواياتها قد تنوّع بحسب الحضارات الّتي احتضنتها فلم يزدها ذلك إلّا توسعاً في دلالتها الرّمزية فكانت دلالة نفسية اجتماعية ثقافية أنتروبولوجية.[1] وممّا لامراء فيه أنّ قابيل هو شخصية منبوذه بما ارتكب خطيئة عظيمة على وجه الأرض واتّبع طريقة"ابليس" وحارب إرادة الله وإرادة أبيه وبينما أخوه هابيل شخصية محبّبة و مطيعة بما أراد الله وتستحقّ الكرامة لدى عامّة النّاس ويعتبرونه ضحية في سبيل الله.

2-1. الشعر العربي المعاصر والتراث الديني

كان ولايزال التراث الديني في كلّ الصّور ولدى كلّ أمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمدّ منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية، والأدب العالمي حافل بكثير من الأعمال الأدبية العظيمة الّتي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو الّتي تأثرت بشكل أو بآخر بالتّراث الدّيني.([2]) هذا وإنّ حضور القصّة الدينية المتّصلة بشخصيتي"هابيل" و"قابيل" يأتي مستلهماً من القرآن الكريم والتوراة؛ نظراً للتّشابه بين الأفكار الواردة في هذين المصدرين، وإن كانت بعض ملامح الآيات القرآنية

1. غنيمة،1994م: 103.
2. عشري زايد، 2006م: 75.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

أكثر تجلّياً. وقد استمدّ الشعراء المعاصرون من التراث الديني ومنه استخدام هابيل وقابيل في أشعارهم ويرى البعض أنّ هناك مجموعة من عوامل عودة الشاعر العربي المعاصر إلى الموروث وتوظيفه في النّصّ الشعري فنذكرها باختصار: 1-العوامل الفنية 2-العوامل الثقافية 3-العوامل السياسية والاجتماعية 4-العوامل القومية 5-العوامل النفسية.(المصدر نفسه:15-20) على ضوء أهميّة المسألة و دورها في فهم النصوص الأدبية المعاصرة يدرس هذا المقال كيفية توظيف الشخصيتين في أشعار عدّة من الشّعراء المعاصرين المعاصرين كمحمود درويش، بدرشاكر السياب، سميح القاسم وعبد العزيز المقالح كشعراء الحداثة الشعريّة وتقوم بالدراسة التطبيقية والتحليلية لنصوصهم الشعرية، مع التّركيز على النّقد المقارن لقصائدهم.

1-3.اسئلة البحث

نظراً إلى حضور كثيف لشخصية هابيل وقابيل في بنية النصوص الشعرية العربيّة المعاصرة تسعى هذه المقالة بمنهجها الوصفي- التحليلي إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هو الغرض الرئيسي لاستدعاء شخصيتي هابيل وقابيل من جانب الشعراء؟ ماهي المشكلة التّي يتحدّي بها الشعراء في نصوصهم الشعرية وماهو أوجه الافتراق والتشابه حول صورتي هاتين الشخصيتين في شعر هؤلاء الشعراء وفقاً لما ورد في قصّتها في النصوص الدينية وما ورد عنها في النصوص الأدبية المعاصرة؟ ماذا تحمل الشخصيتان من التجارب في أشعار الشعراء وماذا يلقيان من الأفكار؟

1-4. فرضية البحث

من الفروض أنّ الظّروف السياسية والاجتماعية المتأزمة التي مرّت بها الشعوب العربية كانت سبباً رئيساً لاتّجاه الشعراء العرب المعاصرين إلى توظيف الشخصيتين الدينيتين؛حيث حاولوا أن تنيروا زاوية معتمة من هذه القضايا، ثم إنّ ميلهم إلى استخدام الشخصيتين في بنيّة نصوصهم الشعريّة ربما كان منبعثاً من شوقهم إلى اظهار معرفة التراث للمتلقي.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

5-1.خلفية البحث

ألّفت دراسات عديدة حول شخصيتي هابيل وقابيل كالتراث الديني في نطاق واسع لاستخدامهما وتوظيفهما في الشعر العربي المعاصر أهمها:

1.دراسة صورة "قابيل" في شعر بدر شاكر السياب القصصي «المومس العمياء» لأحمد رضا حيدريان، نقد ادب معاصر عربى، السنة الثانية، العدد الثاني، ه.ش1391.

2. اسطورة هابيل و قابيل لپرويز خرسند، مجلّة نگين، العدد114، آبان 1353.

3.بداية الحسد ونهايته في قصّة قابيل وهابيل لمحمد سيد طنطاوي، مجلّة منبر الإسلام، السنة49، العدد7،جب1411.

غير أنّ النّظرة اليسيرة إلى هذه الدراسات خليقة أن تقنعنا بأنّنا لم نقع على بحث تطرق إلى دراسة الموضوع في الشعر العربي المعاصر إلا المقالة الوحيدة التي عالجت إحدى القصيدة من الشاعر تاركة القصائد الأخرى والشعراء الآخرين لذلك تقوم الدراسة هذه بالنقد المقارن لشخصيتي هابيل وقابيل في شعر أربعة من الشعراء المعاصرين المذكورين على أساس نظرية المدرسة الإمريكيّة في الأدب المقارن.

2.صورة "هابيل" و"قابيل" في شعر"محمود درويش"

يعتبر محمود درويش(2008م-1941م) شاعر الثورة الفلسطينية بلا منازع؛ غنّى فلسطين بأجمل قصائده ونقل معاناة شعبها إلى الأمّة العربية، فاكتسب بذلك شهرة عربية عالمية.«لقد كان لشخصيتي هابيل وقابيل أثر ملموس في شعره فقد حاول الشاعر أثناء أشعاره أن يوحّد بين هاتين الشّخصيتين وبين الشّخصيات المعاصرة في صورها المتشابهة، فظهرت صورة قابيل المحدث الذي يقف في مواجهة الفلسطيني

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

الّذي يرمز له بهابيل؛ إذ يدور حول محاور ثلاثة: وهي قابيل وهابيل والغراب وما يتّصل بها من أحداث.» ([1]) إذ يقول الشاعر:

هل كان أوّلُ قاتلٍ-قابيل- يعرف أنّ نومَ أخيه مَوت؟

هل كان يعرف أنّه لا يعرف الأسماءَ، بعدُ، ولا اللّغة ([2])

إنّ الّذي يهمّنا من المقطوعة السابقة هو أنّ شخصية قابيل الأزلية تشابه قابيل العصري في بعض الملامح وتخالفها في أخرى؛ على سبيل المثال قابيل في الخطاب الشعري لايعرف شيئاً من الأسماء واللغة ويظنّ أنّ أخاه ما مات بل هو نائم ويستنكر قتل أخيه، على خلاف ما جاء في الخطاب القصصي أنّه قتل أخاه هابيل،كما نلاحظ أنّ الشاعر أراد أن يصوّر شخصية قابيل كإنسان يتجاهل بعد إدراك المفاهيم من حقائق الحياة شرّها وخيرها وهو لا يعرف شيئا من المعاني العالية والسّامية والأسماء التي علّمها الله آدم ولايطّلع على اللّغة وفي زعمه، قتل أخيه هابيل أمر غير عامد وهو يخبط في هذا الطريق دون أن يفهم كنه هذا العمل الشنيع.فمثله مثل الإنسان العصري يقتل آلاف من الأبرياء ويبرّر عمله الفجيع بذريعة الدّفاع عن نفسه:

سعف النخيل إذا أرادوا أوسطوح خيولنا، وستنجب
الأمّ الحزينة إخوة ليتوّجوا هابيلهم ملكا على عرش التّراب
لكنّ رحلتنا إلى النّسيان طالت والحجاب أمامنا غطّى الحجاب([3])

يتكلّم الشاعر عن العقل الباطن باستعمال"سطوح خيولنا" لأنّ لغة العقل الباطني هي الّتي تعبّر عن مشاعر الإنسان ويريد أن يرسم ما في قلبه من الأحاسيس

1. ابو شرار،2007م: 32.
2. الديوان،1994م: 425.
3. المصدر نفسه:543.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

والخلجات الرّوحية بصورة الرّمز و الرّمز هنا هابيل الّذي تكرّر حادثته كلّ يوم في الأراضي المحتلّة أي أرض فلسطين. يقول الشّاعر: «ستنجب الأمّ الحزينة إخوة ...» هذا خلاف على ما جاءنا في قصّة هابيل ونوع من الانزياح ؛ أراد قابيل أن يواري جثّة أخيه، وكيف يمكن أن تلد الأمّ الكئيب إخواناً ليتوجّوه ملكا على عرش التراب. الحق أنّ الشاعر قام بنوع من المفارقة، وهذا ما يحرّض القارئ على التّأمّل؛ «فهذا الانحراف النّصي يوحي بالقوّة المتصدية للواقع أو ليس هابيل الفلسطيني أسمى من أن يواري؟ »([1])

إنّ ما يمكن أن نستشفّه من المقطوعات السابقة هو أنّ قابيل (المدلول) في الخطاب الشعري لايعرف شيئا من الأسماء الّتي علّمها الله آدم وهو يستطيع أن يدرك معاني الخير والشرّ إذ هو مطلّع على حقايق الحياة ولكنّه ضالّ غارق في غياهب غيه، لذلك شخصية قابيل المعاصرة في هذه الفقرة من القصيدة تختلف مع قابيل القصصي، وهو رمز للظالم المعاصر الّذي يبرّر عمله القبيح وهو قتل الإبرياء في الأراضي المحتلّة؛ وفي الفقرة الثانية من القصيدة، استدعى الشاعر هابيل وصورته تتباين مع ما جاء في النّصّ القصصي، برز بين النّاس وتوّج إخوته تاج الملك على العرش وخلافا على ما نلاحظ في القصّة، يحاول قابيل أن يواري جثمان أخيه داخل التراب، والشاعر قد دخل أحد العناصر الأصلية للقصّة التراثية مباشرة وهو هابيل؛ تأسيساً على هذا فإنّ درويش قام بتحوير ملامح شخصية هابيل وأراد أن ينقل هابيل من المواراة تحت التراب إلي التتويج على العرش وقد يشير إلى الحياة والخلود من ناحية وإلى البعث والاستمرار من ناحية أخرى، ويضيف أيضاً قصّة أمّه الحزينة الّتي تلد إخوة آخرين بدلاً من قتل أخيهم، يتوّجون هابيل ويحترمون أخاهم بكلّ غاية، والشاعر قام بالانزياح وهو (هابيل) خالد مابقي الدّهر:

1. ابوشرار، 2007م: 33.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

أنا هابيلُ، يرجِعُني التُّرابُ/ إليك خَرُّوباً لتجلسَ فوق غُصنيبا غرابُ ([1])

من خلال التناص نرى أنّ الشاعر يصهر الذات الغابرة بالذّات الحاضرة الّتي تكتسب حيثياتها من الماضي والحاضر معاً؛ إذ يكرّر الفكرة الّتي تعيد هابيل إلى الحياة .([2]) يظلّ هابيل رمزا للإنسان المقاتل المطارد، وقابيل رمزا للمهيمن المقاتل، وفي كل عصر يحمل قابيل صورة مغايرة، لكنّ القتل والمصادرة هما النتيجة.([3]) يحاول الشّاعر أن يقارب بين عناصر القصّة وأحداث الواقع في فلسطين وهكذا تنتقل الجرائم الواقعة من جيل إلى جيل وينوّر أفكارهم حول قضايا فلسطين.

وفي الأبيات التاليّة يستحضر الشّاعر الشّخصيتين دون أن يأتي بأسمائهما، بعبارة أخرى وظّفهما بآلية«الدور» حيث يقول:

لَك خَلوةٌ في وَحشة الحَرّوب، يا/ جَرَسَ الغُروب الدّاكن الأصواتِ! ماذا/ يطلبون الآن منك؟ بَحثتَ في/ بُستانِ آدمَ، كي يواري قاتلٌ ضَحِيّ أخاهُ،/ وانغلقتَ على سوادِك/ عندما انفتَحَ القتيلُ على مَدَاهُ ([4])

ونرى أن حضور القرآن في هذه الأبيات واضح ومؤثّر. يتمثّل الحضور بكلمة «يواري» في الآية رقم31 من سورة المائدة التي ذكر آنفا وانتقاء الشاعر للّفظ القرآني يكسب النّصّ دقّة وإيحاء. فالفعل«يواري» يمثّل أحد للأحداث المتراكمة في القصّة، وهذا ما يظهر دور الغراب محرّكا للأحداث فمن هنايكون رمزا مصاحبا لشّخصيتين.([5])

1. الديوان، 1994م :612.
2. أبو شرار، 2007:33.
3.علي الشوابكة، 1995م: 26.
4. الديوان، 1994م :612.
5.ابو شرار، 2007م: 35.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

وفي الفقرة الثالثة والرّابعة من القصيدة «قد يسهم التوحّد أو ما يسمّي بالتعيين الذاتي في نشأة "الانا" الأعلى»([1]) وهذا ما تمثّله ذات الشاعر الّتي تحلّ في هابيل النموذج الإنساني المثالي الحامل للمبادئ والقيم الإنسانية والضمير الإنساني الخالص، وهابيل وهو رمز للفلسطيني الذي يعود إلى الحياة مرّة أخرى ليضعف معنويات الفلسطينيين للعودة إلى وطنهم ويومئ إلى الدّرب المنفتح على اللانهاية وهكذا تستمرّ الحياة في دورتها وتستعيد أحداثها ذاتها ولكن تتبدّل العناصر الإنسانية الّتي تقود مسيرتها. وهذه العناصر تبقى مؤشرة للصّراع وشخصيتا هابيل وقابيل وجهان متجدّدان لنماذج كثيرة، ويحاول الشاعر المقاربة بين عناصر القصّة وأحداث الواقع المتّصل بفلسطين، وجدير بالذكر أنّ درويش جعل هابيله وقابيله جزءا من النصّ، وتكلّم عن هابيل بصيغة المتكلّم في الفقرة الثالثة وتكلّم عن قابيل بصيغة الغائب في الفقرة الرابعة، ووظّف هابيل توظيف التخالف، وقابيل توظيف التآلف ممّا أسلف من قصّتهما المروية.

كما جاء في التراث الديني أنّ الغراب هو الّذي علّم الإنسان الأوّل كيف يخفي جثمان الأخ بعد ارتكاب الجريمة وقد استخدم درويش ذلك الرّمز حيث يستوعب رمز الغراب جوّ القصيدة ولقد تكرّر الغراب في قصيدة"حبر الغراب" سبع مرّات ولقد أكثر الشاعر من استخدام هذا اللفظ في هذه القصيدة بالنسبة الى القصائد الأخرى، حيث يقول:

وانصرَفتَ الى شُؤونك مثلما انصرفَ الغيابُ/ إلى مشاغله الكثيرة. فلتَكُن/ يقِظاً. قيامتُنا سَتُرجَأُ يا غرابُ!/ ... أنت مُتَّهَمٌ بما فينا. وهذا أوّلُ/ الدّمِ من سُلالَتِنا أمامَك، فابتعد/ عن دار قابيل الجديدةِ/ مثلما ابتعَدَ السّرابُ/ عن حِبر رِيشك يا غرابُ([2])

1 .فوزي، 2001م: 123-122.
2 .الديوان، 1994م :612.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

لعلّ المتمعّن في المقطوعة السابقة يجد أنّ الشاعر يخاطب الغراب ويتحدّي له يأمره ليكون يقظا لأنّه كان شاهدا على جريمة القتل وعلى هذا الاساس يرمز بالإنسان العصري ويقول فلتكن يقظا وعليه أن يتحدّي ويرفض الخضوع أمام القسوة والظلم ولا يخفي ولا يحرّف القضية ومهما يكن هذا التّحدّي بوجه أخيه الظالم. ولا يسكت أمام الأعداء في قضية فلسطين ويجب أن يدافع عن البشرية المضطهدة التي توطأ تحت أقدام الصهاينة ويصرخ بوجه الظلمة. اقتبس الشاعر اللآية القرآنية التي تجسّم صورة الغراب في قصيدته قائلا في الفقرة الأخيرة:

ويضيئك القرآن/ فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يبحَثُ في الأرضِ/ لِيريهُ كيفَ يوارِي سَوءَةَ أخيهِ قالَ/ يا وَيلَتَى أَ عَجَزتُ أَن أَكُونَ مِثلَ هذا الغِرابِ/ ويضيئك القرآن،/ فابحث عن قيامتنا، وحلّق يا غُرابُ![1]

إنّ حضور تلك الآية السابقة، يجدّد دور الغراب ولعلّ إضاءة القرآن للغراب دليل على ذلك في ضوء إصرار الشاعر على القيامة ولو بعد حين، ولعلّ البحث عن القيامة وتحليق الغراب في السطر الأخير تعبيرعن الإصرار على الوصول إلى الهدف.[2]

وعن الفقرة الخامسة والسادسة من القصيدة يمكن القول: بما أنّ الغراب في النصّ القصصي يهدي قابيل ليواري سوءة أخيه وهو الّذي كان شاهدا على جريمته وهو الآن فيها، فهو يرمز للإنسان العصري الّذي يكون شاهدا على الحقيقة بل طرفا فيها ويحاول إخفاءها وتحريفها ويقتبس الشعر حرفيا الآية القرانية الّتي تجسّم صورة الغراب في القصيدة ذاتها.ثم قام الشاعر بتحوير جزئي في عنصر القصّة وهو الغراب مع ما ورد في القرآن الكريم.

1 .المصدرنفسه.
2 .ابو شرار، 2007م: 37.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

3.صورة "هابيل" و"قابيل" في شعر "بدر شاكر السّياب"

كان "السّياب" (1946م-1926م) بحكم موقعه الزّمني، شديد البحث عن الرّمز لا سيما أنّه كان يعاني من مرض عضال لم يهدأ له بال وكانت حاجته إلى الرموز قوية بسبب نشوبة في أزمات وتقلّبات نفسية وجسمية وبسبب التغيرات العنيفة في المسرح السياسي بالعراق.(عباس، 1990م: 13) وإن لم يكن السياب أوّل شاعر عربي معاصر يستخدم الرمز والاسطورة في شعره، فإنّه وحده جعل منهما مرتكزا أساسيا في قصائده ووظّفها في الكثير منها فوجد في الأساطير والرموز وسيلة للتّعبير عن تذمّره وسخطه على الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة على أمل أن يتحقّق انبعاث جديد.([1]) لذلك نراه أخذ يتحدّث في قصيدته "قافلة الضّياع" عن اللاجئين الفلسطينيين وهي تعدّ من أفضل أشعاره السياسية:

أرأيت قافلة الضياع، أما رأيت النازحين/ الحاملين على الكواهل، من مجاعات السّنين/آثام كلّ الخاطئين/ التّازفين بلا دماء/ السّائرين إلى وراء/ كي يدفنوا "هابيل" وهو على الصليب ركام طين ([2])

يستهلّ الشاعر المقطع بالتساؤل والتحير محاولاً من وراء الأسئلة أن ينبّه مخاطبيه على كنه المأساة الواقعة في اللاجئين ويبدأ شعره بالرّثاء والنّواح كأنّه يبكي على الجريمة ضدّ البشرية. ويعبّر عن المهاجرين بقوله"قافلة الضياع" الذين يحملون على عاتقهم آثام الخاطئين وذلّ أجدادهم بديلاً من حمل أمتعتهم ويتحمّلون الجوع وينزفون بلا دماء ويسيرون إلى الوراء. ويسعى الشاعر عبر هذا الانزياح أن يجعل المتلقي في ممارسة ذهنية. «من ثمّ ترد أسطورة قابيل وهابيل وكأنّها منحدرة من قلب السياق ورحم التجربة إذ التمعت في خاطر الشاعر مأساة الإنسان المغتذي والآكل من لحم أخيه

1 .البعيني، 2003م: 255.
2 .الديوان، 2000م: ج1/368-369.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

ودمه، مأساة قابيل وهابيل، قابيل هو الصهاينة بل إنّه لأبعد من ذلك في ذهن الشاعر هو العالم كلّه، أمّا هابيل فهو رمز العرب المشبوحة أيديهم على صليب الألم دون رجاء في القيامة. إنّهم يعدّون ليدفنوا هابيل الذّبيح أو المصلوب.»([1])

انطلاقا من نصّ القصيدة نرى أنّ عَلم قابيل لايحضر خلال النص ولكنّه فاعل بنّاء في تشريد الفلسطينيين، ووظّفه السياب بآلية "الدور" وقصده من"قافلة الضياع" المتشرّدين الفلسطينيين الّذين طردهم الصهاينة من ديارهم الموروثية وهو رمز لقابيل العصري ويخاطب الشاعر اللاجئين ويسمّيهم حاملي ذنوب أجدادهم وبدل التقدّم إلى الأمام، ينقلبون إلى الوراء ويسيرون إلى اللانهاية ليدفنوا جثمان هابيل، الذي مايزال على الصليب وهو نموذج مثالي للشّابّ الفلسطيني وعلى النقيض مما جاء في النصوص الدينية؛إذ أنّ هابيل قد دفن تحت التراب. واستخدم الشاعر اسم هابيل في النص الشعري ويستدعيه بصيغة الغائب وحضوره محوري وقام الشاعر بانزياح جزئي في شخصية هابيل الذبيح اعتقادا بأنّه لايزال على الصليب مثل المسيح(ع).ويواصل الشاعر كلامه:

قابيل أين أخوك؟ يرقد في خيام اللاجئين/ السلّ يوهن ساعديه، وجئته أنا بالدّواء/ والجوع لعنة آدم الأولى وإرث الهالكين/ساواه والحيوان، ثمّ رماه أسفل سافلين/ ورفعته أنا بالرّغيف من الحضيض إلى العلاء ([2])

من الملاحظ أنّ الشاعر يتقنّع بشخصية قابيل ويتكلّم عن لسانه ويريد أن يرفع تهمة قتل أخيه عن نفسه، وقابيل يدافع عن نفسه ويظنّ أنّ أخاه هابيل مريض بسبب السلّ وجاءه بالدّواء. هذا وإنّ الشاعر لايذكر اسم هابيل مباشرة في الشعر، ولكنّه

1 .حاوي،1983 م: 65-63.
2 .الديوان، 2000م: ج1/ 368-369.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

استعمله كرمز للاجئين والمشرّدين الفلسطينيين الّذين يدفَنون في مخيماتهم إثر الجوع ومرض السلّ.

إنّ ما يمكن أن نستشفه من المقطع السابق هو أنّ الشاعر يسأل ضمير شعوب العالم عن المشرّدين المظلومين المطرودين من أراضيهم المملوكة. وجدير بالذكر أنّ استدعاء شخصية هابيل بالنسبة إلى شخصية قابيل أكثر استعمالا. والقراءة الفاحصة للفقرات الشعرية تبيّن لنا أنّ الموت في اعتقاد السياب يسيطر على الحياة والقوي على الضعيف وتغلبُ الحرب وسفك الدّماء على السّلم والدعة في العالم الحالي. ففي هذا القرن وبعد آلاف السنين و «رغم التقدّم والحضارة مازالت فاجعة الإنسان تتكرّر بشكل أو بآخر لأنّ الحضارة لم تستطع أن تقتل غريزة الظلم والأنانية وقد طبع بها منذ البدء.» ([1])

كما نرى أنّ الشاعر يبدأ نصّه الشعري بالسؤال ويخاطب قابيل سائلا: أين أخوك؟ هذا هو السؤال الذي يسأله الربّ في التوراة: «أين هابيل أخوك ؟ فقال: لا أعلم! أحارس أنا لأخي؟» ([2]) لكنّ إجابة قابيل في النصّ تختلف مع ماجاء في التوراة؛ يجيبه قابيل: أخي نائم في مخيمات اللاجئين وأوهن السلّ يديه وأنا جئته بالدواء. فالشاعر قام بتحويركامل ووظّف التناص العكسي في شخصية قابيل وهو الآن في الخطاب الشعري يتعهّد بوكالة الغوث، وقابيل المعاصر مشفق ومتعطّف على أخيه وجاء لعيادة أخيه المريض، وما ذُكر في جسد الشعر اسم هابيل ولكن من صياغة الكلام وقصّتها عُرف باسمه، وهذا قد أعطى للقصّة طاقة رمزية مستخدماً في نصّ الشعر مع اعتماده على فنّ الديالوج أو الحوار الخارجي.

1 .حاوي، 1983م: ج66/3.
2 .سفر تكوين، الاصحاح 4: 9.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

مضافاً إلى ذلك فإنّ السياب في قصيدته "المومس العمياء"يشير بصورة جزئية إلى قصّة قابيل وهيأكثر وجدانية لأنّها سارية في حياة النّاس، قرينة إلى أفهامهم و يخاطبه منشدا:

قابيل، أَخفِ دم الجريمة بالأزاهر والشفوف/ وبما تشاء من العطور أو ابتسامات النساء/ ومن المتاجر والمقاهي وهي تنبض بالضياء! ([1])

لقد استقامت الصورة في هذا المقطع، من اتّحادها بمنازع الشاعر وموقفه. إنّه الليل، ليل الفجور في المدينة «حيث يفترس المرء أخاه الإنسان بعرضه، إلّا أنّها مدينة مطلية بالأشعّة والألق. فكان الإنسان يقنّع قذارة نفسه ويستر نتنها بطلاء خارجي. وكأنّ قابيل العاصي بقتل أخيه يتظاهر بالشفقة والمؤاساة، يكسو رمس أخيه بزهور الكذب والنفاق. الأسطورة مدّت بذلك أبعاد التجربة وكشفت عن جذورها في ظلمة التاريخ، تبدّلت أحوال الجريمة وأشكالها ولم يتبدّل الإنسان بها.»([2]).

النّص الشعري هذا يدعونا بالاعتقاد إلى أنّ الكذب في العصر الحاضر يطلّ على البلاد؛ فالملامح الصادقة قد تغيرت إلى الملامح الزّائفة والخداع يشتري في الأسواق بثمن بخس ودموع الأخ القاتل تشبه بدموع التماسيح، يتظاهر بالحنان والشفقة ويزيّن قبر أخيه القتيل المظلوم بالزهور والبنفسج ويقعد ويبكي عليه. على ضوء هذا التفسير يمكن القول إنّ الشاعر قام هنا بالإنزياح في شخصية قابيل ومن وراء هذه التقارير يوضّح لنا القضايا السياسية والاجتماعية الطارئة في بلاده. وفي تفسير آخر أنّ الشاعر يخاطب قابيل المعاصر الذي يستر الدماء المُراقة بسبب الجرائم بالأزهار والعطر الشميم لكيلا يطّلع أحد على هذه الأحداث الإجرامية؛ فشخصية قابيل المعاصر تلائم شخصيته التراثية، وهو الآن يدفن أثر جرمه في التراب ويبرّر عمله الشنيع- كما دفن سوءة أخيه

1 .الديوان، 2000م: ج510/1.
2 .حاوي،1983م: ج68/2.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

ويخفي عمله من أبيه - ويزين قبر أخيه بالأزهار حتّى لا يعلم أحد من جرمه. إنّ ما ذُكر في هذه الفقرة من الشعر هو اسم هابيل ولكنّه عُلم به من عمل قابيل ومن"دم الجريمة" ويستفاد أنّ الدم هو دم أخيه المسفوك، وحضوركلتا الشخصيتين محوري في النص.

وأمّا في النشيد الآخر المعنون بـ"تسديد الحساب" من قصيدة "من رؤيا فوكاي"[1]استدعى الشاعر قابيل وهابيل مرّة أخرى و يستهدف غرضا آخر:

"قابيل" باق وإن صارت حجارته سيفاً وإن عاد نارا سيفُه الخَذِمُ
وردّ "هابيل" ما قاضاه بارئه عن خلقه ثمّ ردّت باسمه الأممُ([2])

وفي هذا المقطع قابيل رمز للعدوّ الخارجي وهابيل رمز للإنسان المظلوم والمضطهد. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه الأبيات كما يتضح من عنوانها "فوكاي" تحكي مأساة القصف الكيمياوي لمدينة"هيروشيما" في"اليابان" وتبيّن لنا أنّ الجريمة العصرية تحوّلت إلى شكل جديد ممّا جرى في القرون الماضية حول كيفية ارتكاب الجرائم وقابيل الأزلي يقتل أخاه بالحجر وبعد مرور الزمن يقتل الأبرياء بالسيف والسهام والآن أبدعت وسائل أكثر وحشية من ذي قبل تهدّد العالم بالفناء بمجرّد الضغط على"أزرار" في ثوان معدودة كما فعل بـ"هيروشيما". وتواصل الكارثة العظيمة والاضطهاد والتنكيل بيد فرق إرهابية.كما نلاحظ أنّ الشاعر ذكر عَلَم شخصيتي هابيل وقابيل في النص الشعري واستخدمها بصيغة الغائب وجعلها جزءا من النصّ وشخصية كليهما تتآلف تآلفا واضحا مع سياق قصّتها التراثية مع تحوير بسيط في آلة القتل وتبدّلت من الحجر إلى السيف وإلى القنبلة و... وهابيل المعاصر تسليم لأمر خالقه وخاضع لما قدّره وهذا العمل ينتهي إلى ذكر اسمه الحسن في الآفاق ويصبح نارا على علم.

[1] فوكاى،كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيما، جن من هول ما شاهده غداة ضربت بالقنبلة الذرية.

2 .الديوان،2000م: ج1/ 360.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

4.صورة"هابيل" و"قابيل" في شعر"سميح القاسم"

يعدّ سميح القاسم (2014م-1939م) واحداً من أبرز شعراء فلسطين، «شاعر مكثري تناول في شعره الكفاح ومعاناة الفلسطينيين، ولا مشاحّة في أنّ شعر المقاومة منذ بداية السبعينات قد اكتسب حيوية وحرارة و تطوّرا كبيرا إلى الأمام، حتّى غدا ألمع تيارات الشعر العربي انطلاقا إلى الأمام، يقوده سميح القاسم وغيره.» ([1]) ولهذا يتحدّى في قصيدته القضايا السياسية والاجتماعية، وهذا الأمر دفعه إلى استدعاء هاتين الشخصيتين في«نشيد الكهنة» ويستخدم لفظة "قايين"- اسم قابيل في التوراة-:

دوري مع الأعصار! ياقطعانُ! ضيعك الرُّعاة!/ وابكي ربيعاً مات.... مات !/ من يوم شاء الله أن تمويبدا قايين،/ قاتلتين، غائصتين في الدّم، في الحياة/ ويروح يصرخ من وراء السدل.../ في عسف الطغاة.... الأغبياء من الطغاة:/ قايين! يا قايين! أين مضت تهابيل خُطاه؟!/ إذهب! يرافقك الشقاء ...جزاء فعلتك الحرام!/ قدر عليك السهد والألم المبرّح و السقام/ وتند عن أرض الخلود/ صرخات بُقيا اللحم والدم والعظام/ الشلو أقسم لن ينام ! .... الشلو أقسم لن ينام !...([2])

والمتلقّي يرى أنّ في النص الشعري نوعا من التمهيد حيث يشير إلى كلّ القصّة إجمالا وفي الفقرة الأولى منها، يذكّرنا أنّ هابيل راع وقُتل بيد أخيه وعنوان القصيدة "نشيد الكهنة"يدلّ على الأسطورة وجوّ سري ويسبّ القاتل ويعتقد الشاعر أنّ الظالم لن يتخلّص من عمله القبيح وإن كان يحسب نفسه ظافرا ومنتصرا وهو في القبر. وفي هذا الثرى مازال ضميره أي"النّفس اللوّامة"يحاكمه و يرافقه السّهر والجنون. وفيه التّناص القرآني أنّ الكدح والمشقّة قرينه دائماكما في الآية القرآنية:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(البلد:4)

1 .سرور،1973م: 210.
2 .الديوان، 1993م: ج18/4.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

يمكن القول، تبعا لما تقدّم، أنّ سميح وظّف الرمز التراثي بآلية علمي هابيل وقايين في نصّه الشعري واحتلّت قصّتهما محور النصّ وأشار في بدء القصيدة إلى اسم هابيل كنائيا وبما أنّ هابيل راعٍ وبجانب قطيعته في المزرعة قُتل بيد أخيه ولهذا يخاطب قطعانه ويقول: ابكي على هابيل والربيع وابكي من أجل اليوم الذي ضرّجت يدا قايين بدم أخيه، وأراد الله أن تمتزج يدا قايين بدم أخيه ويصرخ الله من وراء الستار علي وجه الطغاة و الحمقي: يا قايين! مِن أين مرّ هابيل ووطئت خُطاه؟! مثلما جاء في التوراة: «فقال الربّ لقايين: أين هابيل أخوك؟» ([1]) ويسبّ قايين ويقبّح من أجل عمله الإجرامي ويقدّر له السّهر والألم الشديد والمرض ويخاطبه ويقول: اخرج من أرض الخلود، كأنّ الله يطرد"آدم وحواء" من الجنّة ويتبادر في الذهن كلام التوراة أيضا لما جاء فيه:«فقال قايين للرّبّ: إنّك طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفي.... فخرج قايين من لدن الربّ، وسكن في أرض نود شرقي عدن.»([2]) وبقية اللحم والدم والعظم والعضو لهابيل تصرخ وتقسم بأنّه لن ينام أبدا. لاحظنا شخصيتي هابيل وقابيل المعاصرتين تلائمان مع ما جاء في النصوص الدينية.

وفي الخطوة الأخرى يتراءى الشاعر موجّها خطابه الشعري المعنون بـ"نشيد الأنبياء" إلى موسي (ع) قائلا:

يزيح قايين القديم جميع أكداس التراب/ يزيح قايين القديم جميع أكداس التراب/ فارحم وصاياك الشقية!/ فارحم وصاياك الشقية! ([3])

والفقرة الشعرية السابقة تؤكّد على أنّ «الشاعر أراد أن يعبّرعن انطفاء القيم الدينية وضعف أثرها في نفس الإنسان المعاصر؛ لذلك يقوم بتبديد ظلمات الوجود ويجعل

1 .سفر تكوين، الاصحاح، 4: 9.
2 .المصدر نفسه:14و16.
3 .الديوان، 1993م: ج4/ 24.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

رسول العصر يحمل هموم البشرية علي كاهله ويحلم بتحقيق مستقبل أفضل للإنسان ويؤسّس لمدينة فاضلة على الأرض خالية من الشرور والآثام.» ([1])

ومن خلال الفقرة الماضية يبدوأنّ قايين القديم قد جاء اليوم من عمق التاريخ ليزيل كلّ القيم الانسانية في الأرض كما فعل بأخيه وسترجثّته في الرمس والشاعر يخاطب موسى(ع) على سبيل السخرية والاستهزاء قائلا: ارحم إلي كلّ وصاياك وأوامرك وشقاوتك وأَزِل كلّها لأنّها لا فائدة فيها والآن قايين يواصل عمله الشنيع، ولهذا يجعل الشاعر من قايين التاريخي رمزا قادرا على الانبعاث والتجدّد وانبعاث قايين فهو انبعاث يمارس من خلاله رغبته من القتل وتحويل الوجود الانساني إلى البوار والعدم. والشاعر يقوم في هذا النص الشعري بنوع من المفارقة في الخطاب الشعري مع موسى(ع) ومن الجدير بالذكر أنّ سميح يوظّف الرمز الديني بآلية علم قايين دون أي ذكر لاسم هابيل. هذا وإنّ حضور شخصية قايين محوري، ثم وظّف القاسم شخصية قابيل توظيف التآلف مع قصّته الموروثة ورُويت القصّة بصيغة الغائب.

5.صورة"هابيل" و"قابيل"في شعر"عبد العزيز المقالح"

عبد العزيز المقالح(1937م) «من أحد أشهر أدباء اليمن المعاصرين وخارجها خصوصا في مجال الشعر والنقد الأدبي، ويتّكئ كثيرا على الاشارات التاريخية التي يتّخذها رموزا ومرايا لرؤاه ويستعير لها وقائع من الكتب السماوية وبخاصّة القرآن الكريم.» ([2]) ينشد قصيدة باسم"هابيل الأخير" ويعاني مصير هابيل المفاجئ في مسرح هذا العالم حيث يخاطبه ويقول متحدّثا عنه في مرثية مؤلمة:

هابيل/كم عام مرّ وأنت قتيل/ مطروح في الطرقات/تبحث عن حفّار قبور بين الأموات/ قابيل الآثم حين رآك/ مقتولا فرّ إلى البحر. ابتعلته الأسماك/ وبقيت بلا

1 .نمر موسى،2010م: 126.
2.ممتحن والآخرون،1390ش: 103.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

قبر– وحدك-يبكي الجسدالعريان/ خجلا/ وتمرّ حواليه الغربان/ لو كنت القاتل يا هابيل / ماكنت بلا قبر/كان البحر أو النيل/ قبرا يخفي وجهك من ضوء الشمس/ عن حزن الأمس/ ..هابيل/ ..أقتل/: أقتل إياك تقول/ أنا المقتول/ أنا المقتول ([1])

تعليقنا على هذا الشعر هو أنّ الشاعر ضاق صدره بضيم الجبابرة فيتصوّر هابيل في هيئة قابيل و يتبدّل دورالقاتل بالمقتول ويأمل أن يأخذ حقّ المظلوم من الظالم. من هذا المنطلق يترأى هابيل في عينيه صورة قابيل وعليه أن يقف بوجه الظالمين. نظرة الشاعر إلى هذه القصّة نظرة سخرية حيث يميل إلى نوع من الإنزياح.

على ضوء هذا التفسير، يمكن القول أنّ قصّة هابيل وقابيل احتلّت محور النصّ الشعري وصُرّح إليهما بآلية عَلَمي هابيل وقابيل، ويخاطب الشاعر هابيل المعاصر قائلا: منذ سنين طويلة قُتِلتَ ولكن جثمانك مطروح على الأرض دون أي قبر! وهذا المضمون من الشعر يشير إلى المظلومين المقتولين في أرض فلسطين، ويخاطب هابيل قائلاً: إن كنت قاتلا مثل قابيل، لن تبقى دون قبر وعندئذ كان بحر النيل قبرك ليخفيك من نور الشمس الحارّة. بناء على هذا أنّ قابيل المعاصر يمشي في الأرض بكلّ حرية دون أن يؤخَذ منه حقّ المضطهد ويدّعي الظُلامة أيضا وهو رمز للصهاينة الذين يرتكبون بأبشع الجرائم في الأراضي المحتلّة ويبرّرون أعمالهم بزُخرف الكلام ولهذا يخاطب الشاعر هابيل بلسان ساخر قائلاً: اقتل أنت المظلوم وبعد ذلك قل: أنا المقتول ... كما نلاحظ في هذا النص الشعري تترآى شخصية هابيل على العكس تماما بما قرأناه من قصّته الموروثية وعلى خلاف ما جاء في القصّة؛ جثّة هابيل لاتزال مطروحة على الأرض وتطير الغربان حولها لتطّلع العالَم في العصر الحالي على أنّ الظُلامة باقية في

1 .الديوان، 1986م: 237-238.

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

الأرض وأجساد القرابين متروكة على الأرض مابقي الدهر، وهكذا قام الشاعر بتحوير كامل في دور هابيل في قصّته المروية.

6. النتيجة

يستنبط ممّا مضى أنّ الشعراء العرب المعاصرين حاولوا من خلال استدعاء شخصية هابيل وقابيل التراثيّة وعبر التقنيات الأدبيّة المختلفة والآليات المتخالفة مرّة والمتآلفة مرّة أخرى تجسيد ملامح الواقع المتهالك للمجتمع العربي وتعاملوا مع هذا الموضوع بوعي فكري ونفسي ووجداني وأوّلوه في الكثير الأكثر تأويلا سياسيا، واستطاعوا أن يتناولوا بها الأوضاع المأساوية في أراضي فلسطين المحتلّة خاصّة، حيث ساعدتهم الشخصيتان أن يعبّروا عن موقفهم إزاء ما يحدث من ظلم وقتل للفلسطيني المعاصر بواسطة العدو الصهيوني الذي حضر في النصوص الشعريّة كقابيل المعاصر؛ فهابيل الشعري جاء معادلاً موضوعياً للانسان العربي المعاصر حيث ظهر كمظلوم سياسي، بينما قابيل الشعري جاء معادلاً موضوعياً للصهاينة وظهر كظالم سياسي. على ضوء هذا التفسير تغيرت شخصية قابيل من الأخ الحاسد في وجهه الديني إلى العدو الغاصب في وجهه الأدبي؛ فالجناية على العكس من التراث الديني أصبحت سياسية.

وتأسيساً على النصوص الشعريّة المدروسة يمكننا القول بأنّ الشاعرين درويش وبدرشاكر السياب يعتقدان بأنّ شخصية قابيل الأزلية تعادل قابيل العصري مثل التتار والمغول والصّهاينة وشخصية هابيل الأزلية تعادل اللّاجئين الفلسطينيين، ولذلك يفتتح عقدتها النفسية إزاء الأزمات الاجتماعية والسياسية. هذا وإنّ عبدالعزيز المقالح يلفت الأنظار ببيان السخرية والإنزياح ويستخدم الحوار العكسي ويحوّل دور القاتل والمقتول. بينما الشاعر سميح القاسم يعتبر مأساة قابيل وهابيل رمزاً للخطيئة الإنسانية وتدلّ علىشناعة عمل الصهاينة ويلعنهم. وأخيرا إليكم الجدول التالي توضيحاً وتلخيصاً للمحصلة النهائيّة من النقد المقارن:

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

الشاعر	القصيدة	صيغة الحضور	المساحة النصية	تقنية التوظيف	صورة الشخصية	نوعية المشكلة	استدعاء الكلمات المرتبطة	آلية الاستدعاء
محمود درويش	أرى ما أريد	الغائب والمخاطب	محور النصّ	توظيف التآلف مع تحوير بسيط / توظيف التخالف	قابيل المتجاهل والمهيمن الهفاتل وهابيل المقاتل المطارد	السياسية (قضية فلسطين)	قابيل هابيل غراب	العلم والدور
بدر شاكر السياب	قافلة الضياع	الغائب	جزء من النصّ	توظيف التآلف مع تحوير جزئي	هابيل الذبيح والمصلوب	السياسية والاجتماعية (قضية فلسطين)	هابيل	العلم(هابيل والدور)(قابيل)
	قابيل أين أخوك ؟	المخاطب	محورالنصّ	توظيف التخالف مع تحوير عكس	قابيل وكيل الغوث	السياسية (قضية فلسطين)	قابيل	العلم
	المومس العمياء	المخاطب	جزء من النصّ	توظيف التخالف	قابيل المتظاهر بالشفقة والمؤاساة	السياسية والاجتماعية	قابيل	العلم

المنارة للاستشارات

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

	تسديد الحساب	الغائب	جزء من النصّ	توظيف التآلف مع تحوير بسيط	قابيل العدوّ الخارجي وهابيل المظلوم والمضطهد	السياسية (مأساة هيروشيما)	قابيل هابيل	العلم
سميح القاسم	نشيد الكهنة	الغائب و المخاطب	محور النصّ	توظيف التآلف	قابين الملعون وهابيل الراعي المظلوم	السياسية (شناعة قتل الأبرياء في فلسطين)	هابيل قابين	العلم
	نشيد الأنبياء	الغائب	جزء من النص	توظيف التآلف	قابيل فزيل القيم الدينية	الدينية وعدم الاكتراث بالوصايا الدينية	قابين	العلم
عبد العزيز المقالح	هابيل الأخير	المخاطب و الغائب	محور النصّ	توظيف التخالف مع تحوير العكس	هابيل القاتل مدّعي الظلامة	السياسية	هابيل قابيل	العلم

المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421

تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر. تفسير ابن كثير. دار الفكرT بيروت،1401ق.
- أبوشرار، ابتسام موسي عبدالكريم. اشراف: نادر قاسم، التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش.(لامک و لا نا)2007م..
- البطل، علي. . شبح قايين بين ايدل سيتول و بدر شاكر سياب. ط1. للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1984م.
- البعيني، نجيب. موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، دراسات ومختارات. ط1. دار المناهل، بيروت، 2003م.
- حاوي، إيليا. بدر شاكر السياب.ط3. دار الكتاب اللبناني،بيروت، 1983م.
- درويش، محمود. الديوان. المجلد الأول والثاني. ط1،دار العودة، بيروت، 1994م.
- سرور، عبدالله. أثر النكسة في الشعر العربي. لامک ولانا. 1965م.
- السياب، بدر شاكر. الأعمال الشعرية الكاملة.دارالعودة، بيروت،2000م.
- عباس، احسان. إتّجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة بيروت،1990م.
- عجينة، محمد. موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها. ط1. دار الفارابي، لبنان،1994م.
- عشري زايد، علي. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. دار غريب للطبعاعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2006م.
- فوزي، ايمان. في الصحة النفسية. ط1. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م.
- القاسم، سميح. الأعمال الشعرية. المجلد الرابع. دار سعاد الصباح، لامک،1993م.
- المقالح، عبد العزيز. الديوان، دارالعودة، بيروت،1983م.
- نمر موسي، إبراهيم. شعرية المقدّس في الشعر الفلسطيني المعاصر. دروب للنشر والتوزيع. الطبعة العربية، عمان،2010م.

المنارة للاستشارات

المجلد :7 / العدد :2 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421

تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/09/29 ، تاريخ النشر: 2019/11/25

- المقالات:
- الشوابكة، محمد علي. «توظيف التناص في" متاهة العراب في ناطحات السراب" لمؤنس الرزاز دراسة في التناص القرآني والبنائي فكريا وفنيا» مؤتة للبحوث علمية محكمة ومفهرسة. تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا. جامعة مؤتة. 1995م. ص26.
- ممتحن، مهدي وسيد جواد حسيني ننيز. . «وقفة مع الاديب اليمني عبد العزيز المقالح وتحليل شعره». مجلة دراسات الادب المعاصر، ايران،1390ش. العدد11.صص 113-97.